البلاغة بين الإرسال والتّلقّي في تفكير الجاحظ البلاغيّ

Eloquence Of Transmission And Reception In #Al Jahedh# Rhetorical Thinking

الطالب: يونس بوناقة
Younnes.bounaga@gmail.com
الأستاذ المشرف: د. طاطة بن قرماز
مخبر نظريّة اللّغة الوظيفيّة بجامعة الشلف
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)

تاريخ الإرسال: 2019/01/06 تاريخ القبول:2019/02/12 تاريخ النشر: 2019/03/19

ملخص: لو قَدِرَ البحّاثة العرب المحدَثين أجمع على ترشيف النّصوص البلاغيّة النّقديّة العربيّة الأولى ما كان سعيهم هذا بادياً لخواص القرّاء والدّارسين، وحتّى من ناظَرهم في العلم منزلة على السّواء، إلاّ فليّا منبنيّا على استظهار جملة من القضايا الجوهريّة المضْطلَع عليها أساساً الدّرسين النّقديّ والبلاغيّ العربيين، والتي ما فتئت هذه الأخيرة تسيل الحبر الكثير من لدُن أفذاذ النّقد العربيّ الحديث/ المعاصر، فراح بعضهم يغوص في كوامن القضايا النّقديّة المرْتَهل بها، وفي بعضٍ من العُقد المعتاصَة في الدّرس البلاغيّ العربيّ القديم، قراءةً وتمحيصاً، بفكرٍ نقديّ حصيف، وعقل تنقيبيّ نَبيه، ومضى آخرهم مُضِي المُكاشِف حائماً حول المسائل المحوريّة والقضايا الجوهريّة علّه يمسك بتلابيب ما خُفِي عن سابقيه، بيد أنّ هذا التّرشيف المؤسّس على الفلي والتّنبيش من لدُن النّقاد العَرب المحدَثين إنّما هو دراسة أو قراءة أخرى للموروث البلاغيّ والنّقديّ العربيّ بشكلها الواسع، وانبناء هذه القراءة قد تتراءى فيه عند القارئ تباينات نقديّة فكريّة إديولوجيّة في أكثر المواضع التي ما تزال إلى يومنا هذا مثار تجاذُف وتراصُف، ولعلّ من أبرز تلكم القضايا التي ماجت إزّاءها آراء نقادنا العرب المحدَثين؛ قضيّة البلاغة العربيّة بين ضلعيّ التّراسل والتّلقّي.

ومن كلّ ما ذكرناه، قَبلاً، تروم هذه القراءة البحثيّة مكاشفة إحدى أبرز القضايا النّقديّة البلاغيّة التي وقف عندها النّقد العربيّ الحديث، وهي قضيّة تلوّن البلاغة العربيّة بين الإرسال والتّلقّي، بيد أنّنا سنقف وقفة نقديّة تمحصيّة متأنيّة محاولين أن نبرز بواكير هذه القضيّة في فكر زعيم البيان العربيّ ومؤسّس البلاغة العربيّة صاحب كتابي "البيان والتّبيين" و "الحيوان"؛ الجاحظ (255هـ). إذن، كيف تتجلّى صورة العمليّة التّبالغيّة، التّخاطبيّة، التّواصليّة في كتابات الجاحظ البلاغيّة ؟ ومدى انفساح هذه التّصويريّة المبكّرة المتفرّدة على جلّ النّقاد والبلاغيين العرب الذين جاؤوا بعده ولقّوا لقّه ؟

الكلمات المفتاحيّة: البلاغة، الإرسال، التّلقّي، الجاحظ، النّقد العربيّ القديم/ الحديث، البيان والتّبيين، الحيوان، التّواصل.

Summary: *If the modern Arab scholars were collaborating to absorb the first Arabic critical rhetorical texts, what would they have done to the qualities of the readers and scholars, and even their conquerors in the science of the same place, only if they were based on the memorization of a number of core issues, mainly the Arab critical and rhetorical studies, The latter came to light the ink a lot of modern Arabic / contemporary criticism, so some of them plunge into the ambiguity of heavy issues, and in some of the contract embodied in the old Arab rhetorical lesson, reading and scrutiny, with a critical and prudent thought, And the most recent of which is the passing of the books on the necessary issues and the core issues. So may hold up what is hidden from its predecessors. However, this absorbing is based on the digging and turning over by the modern Arab critics which is mainly a study or a reading of the vast heritage Arabic. May appear in the reader's intellectual a differences of ideological and intellectual critics in the most places that are nowadays still the subject of spacing and alignment, and perhaps one of the most prominent issues that raised the views of our critics Arab innovators; the issue of Arab rhetoric between the two ribs correspondence and reception.*

From what was said, this research aims at uncovering one of the most critical rhetorical issues in which modern Arab criticism has witnessed. This is the issue of changing the Arab

rhetoric between transmission and reception. However, we will stand critically careful and safe, to discover the main issue in the founder of Arabic rhetoric the Author or the "Al-Bayan Al-Arabi and Taibeen and "Al-Hayaouan"; Al-Jahiz (255). So, how is the rhetorical, communicative process image reflected in the rhetorical writings of Al-Jahz? And why did this early pictorial detachment leave most of the Arab critics and philosophers who came after him and turned to him?
key words: *Rhetoric, transmission, receiving, al-Jahiz, ancient Arab criticism/ modern statement and illustration, Al Hayawan, communication.*

تمهيد:

مضى على النّقاد العَرب المحدَثين حينٌ من الدَّهر وهُم يبجّون أبحُر علوم الأدب العربيّ من لسانياتٍ، وبلاغةٍ، ونقدٍ، وتصريفٍ، ونحوٍ، ودلالةٍ، وما جابهها من علوم أدبيّة أخرى، فراح أكثرهم يلملمون شتات المكتنزات المعرفيّة الأدبيّة المبثوثة في تضاعيف مؤلّفات سابقيهم من أفذاذ دروس الأدب العربيّ على اختلافها، وإنْ كنّا نقرّ بمدى انصباب تلكم المكتنزات المجموعة في تآليف نقديّة مائزة، والتي أضحت اليوم من أوسع الموالج وأرحب المداخل لفهم الدّرس النّقديّ القديم والحديث معاً، بل، وإنّها غدت اليوم إلاّ من أهمّ ما بات يضطلع عليه الدّرس النّقديّ العربيّ المهيع، وحتّى النّقد الأدبيّ المعاصر منه، فدوّنوا ما دوّنوه من معارف قيّمة، وجمعوها في طوامير بحثيّة انماز أصحابها بدقّة تبصّرهم بعوالم الدّرس النّقديّ، ومدى تبحّرهم فيها. ومع توالي الأزمنة غدَت تلكم الطّوامير من أبرز المؤلّفات النّقديّة[1] التي ليس يمكن لأيّ دارسٍ لعلوم الأدب العربيّ بعامّة، والدّرس النّقديّ بشكل خاصّ أنْ يتغافل عن النّبش في جوهرها، والغوص في مكنوناتها، والحوم حول قضاياها الأساسيّة المبثوثة في تضاعيفها، وهي ذات المصنفات النّقديّة الحديثة/ المعاصرة التي باتت تصنّف المرجع الأوّل لكلّ غائصٍ في أغوار الدّرس النّقديّ، ولا نغلو إذا قلنا بأنّها لهي المنبع الأساسيّ الذي لا تنضب أمواهُه لكلّ باقرٍ في عوالم الدّرس النّقديّ في يومنا هذا.

ولقد سَعت تلكم التّآليف النّقديّة إلى تجلية جلّ المواضيع المتعلّقة بالنّقد الأدبيّ وبشتّى أفانينه، وتبقى من أبرز الموضوعات التي تطرّق إليها نقادنا العَرب منذ أرداح من الزّمن، وصولاً إلى جهود نقّادنا اليوم؛ موضُوعة البلاغة بين الإرساليّة والتّلقيّ، وكيف وردت في تفكير أفذاذ الدّرس البلاغيّ، وعلى رأسهم الجاحظ (255ه)، أبو هلال العسكريّ (395ه)، ابن رشيق القيروانيّ (446ه)، عبد القاهر الجرجانيّ (471ه)، وحازم القرطاجني (684ه) وغيرهم من رؤُوس النّقد الأدبيّ العربيّ.

مثّلت موضُوعة "البلاغة بين الإرساليّة والتّلقّي" محور التقاءٍ، أو لنقل بؤرةَ انصهارٍ معرفيّة في عديد تضاعيف مؤلّفات النّقاد العَرب الأوائل، وما ذلك إلاّ لمدى عُلقتها بالعمليّة الإفهاميّة أو التّواصليّة، بدليل أنّ مدار البلاغة إنّما هو مسنودٌ وبشكلٍ ضليعٍ إلى عمليّة الفهم والإفهام سواءً أكان ذلك باللُّغة الملفوظة أو الإيمائيّة الإشاريّة، وقد رتّب الجاحظ أصناف الإبلاغ إشاريّا في كتابه البيان والتّبيين وجعلها كمدلولات على تعبيرٍ ما، فذكر: "فأمَّا الإشارة فباليد، وبالرَّأس، وبالعين والحاجب والمنكب، إذا تباعد الشَّخصان، وبالثَّوب وبالسَّيف يتهدَّد رافع السَّيف والسَّوط، فيكون ذلك زاجراً، ومانعاً رادعاً، ويكون وعيداً وتحذيراً"[2]، فبأيّ أبلغتَ إمّا لفظاً أو إشارةً فذلك هو عماد التّواصل وسنام الإفهام، وسنتوقف عند ذكرنا لعنصر البيان عند الجاحظ شرحاً وكشفاً لهذا الشّأن.

ويجرّنا هذا الحديث، قُدُماً، إلى الفلي بشكلٍ مُتمحَّصٍ فيه، لنكشف الحجاب عن قضيّة بدَت مع ما كتبه الجاحظ في تعريفه لمصطلح "البيان"، وإنّه لذلك المصطلح الفكريّ النّقديّ البلاغيّ الزّئبقيّ، فقال الجاحظ في تعريفه: "لفظ وإشارة وخطّ وعقد ونِصبة ..."[3]، فهذا تعريف دقيق لبيان، بيْد أنّنا نراه بالموازاة تعريفا للّغة، أو ليس هذا مفهوم هي اللّغة بشكلٍ رحبٍ فسيحٍ ؟ أو ما تراك تجد هذا تعريفا حائما حول التّواصل ووسائله المختلفة، وآلياته المتنوّعة ومنها ما كان لفظيّا أو غير لفظيٍّ ؟ بلى، إنّها للّغة بشكلها الأرحب، ولَلتَّواصل في زيّه المهيع، وكثيرا ما "اقتُرِنت حياة اللّغة بالعمليّة التّواصليّة؛ فاللّغة التي لا نتواصل بها ليس لها وجودٌ"[4]، واللّغة، إذن، تعبير أو إبلاغ عن إحساس يختلج النّفس ويعتريها، فلا مشاحة أنْ يغتدي وقتئذٍ الإبلاغ صورة عن التّعبير، والتّعبير؛ يتمفصل إلى تعبيرٍ كلاميٍّ وآخر إيحائيّ، وإنّهما لأوسع أبواب التّواصل وأرحبها، وبذلك عُدّت البلاغة إظهار التّعبير اللّغويّ (قولاً أو إشارة)، والتّعبير هو سنام التّواصل، والرّكن الضّليع الذي لا تقوم قائمته إلاّ به.

قراءة كرنولوجيّة في الانتقاليّة الرّاديكاليّة للبلاغة العربيّة:

أبرز معالم تطوّر البلاغة في مرحلة النّشأة:

ليس منّا من الصّواب بشيءٍ، ولا من الصّحة بقدرٍ إذا ما عُجنا في الحديث عن موضُوعة الإرسال والتّلقيّ في تفكير بلاغيينا العرَب الأوائل دونما أنْ نلج إلى مسألة هامّة كانت وما تزال إلى يومنا هذا مثار تنافر وتجاذب في كثيرٍ من آراء النّقاد والبحّاثة العرَب؛ مسألة القراءة الكرنُولوجيّة للانتقاليّة الرّاديكاليّة للبلاغة العربيَّة، حيث اتّسعت دائرة القراءات البحثيّة من لدُن الدّارسين والباحثين في الدّرسين النّقديّ والبلاغيّ العرَبيين مذ عقودٍ مضت وصولاً إلى يومنا هذا إزّاء توضيح كلّ ما هو متعلّق بانتقاليّة البلاغة العربيّة عبر أعصُرها المختلفة (النّشأة، النّمو، الازدهار، النّضوب)، إذْ أقرّ جلّ الباحثين في تاريخ البلاغة العربيّة على أنّ أوّل ما ظهرت عند العرَب أنْ كانت مجرّد مَلاحِظ بيانيّة تتداولها الألسُن الذوّاقة للّغة، والعقول النّبيهة باللّسان العربيّ، ومع توالي الأعصُر تطوّرت هذه الملاحِظ إلى أنْ اغتدت لبّ الدّراسات النّقديّة عند العرَب، وذلك بفضل الجهود الكبيرة لعددٍ من نحارير الدّرس البلاغيّ، وجهابذة الدّرس النّقديّ على حدّ سواءٍ.

إنّ من أبرز الجهود المُقدَّمة بسبيل تطوير الدّرس البلاغيّ ما قدّمه الجاحظ من تآليف باتت الرّافد الأوّل لكلّ مُتصفِّح للدّرس البلاغي والنّقدّي، ومن ذلك كتابه "البيان والتّبيين" والذي يمثّل أحد أعمدة كتب الأدب العربيّ، وبالأخصّ في الدّرس البلاغيّ، وهذا شأن قد صرّح به ابن خلدون في مقدّمته في قوله: "سمعنا من شيوخنا في مجالس التّعليم أنّ أصول هذا الفنّ (يقصد علم الأدب) وأركانه أربعة دواوين وهي: "أدب الكاتب" لابن قتيبة وكتاب "الكامل" للمبرد، وكتاب "البيان والتّبيين" للجاحظ، وكتاب "النّوادر" لأبي علي القالي البغداديّ، وما سوى هذه الأربعة فتبعٌ لها وفروع منها"[5]، وبهذا يمثّل كتاب "البيان والتّبيين" باكورة الجهود البلاغيّة النّقديّة عند العَرَب.

جهود الجاحظ في تطوير الدّرس البلاغيّ العربيّ:

أجمع كثيرٌ من النّقاد على أنّ الجاحظ كان عَلماً من أعلام عصره، ورأساً بارزاً من رؤوس الاعتزال، بل إنّه لعلامة فارقة، وذروة سامقة، وإقونة معرفيّة مائزة في تاريخ الأدب العربيّ على مرّ عصوره، وفلتة من فلتات زمانه بحقّ، فاستأثر بمكانة سامقة في تاريخ البلاغة العربيّة والنّقد الأدبيّ، وهو الأمر الذي نلتمسه في كتب كثير من نقادنا الذين كتبوا في تاريخ الأدب العربيّ، حيث أنّنا لم نجد كتابا أرّخ لحياة الأدب العربيّ ولم يتوانى عن ذكر مناقب وفضائل زعيم البيان العربيّ، وما له من جهود بارزة بسبيل تطوير البيان العربيّ، وهذا شأنٌ أقرّ به كثيرٌ من نقادنا المحدَثين، ولعلّنا نلفي من أبرز تلكم الآراء ما ذكره جرجي زيدان (1914م) في كتابه "تاريخ آداب اللغة العربيّة" عن الجاحظ، إذْ رأى فيه "إمام الأدباء في العصر العباسيّ الثّاني، وله أساليب ومذاهب وآراء في الأدب واللّغة خاصّة به، واشتُهِر بطريقة في الإنشاء تنسب إليه قلّده فيها النّاس وعُرِفت باسمه، فهو قدوة المنشئين في هذا العصر كما كان ابن المقفع أمامهم في العصر الأوّل"[6].

ولعلّ من يفلي مؤلّفات النّقاد العرَب المحدَثين، نبشاً، يلحظ اتفاقهم وبشكلٍ واسع جدا على فكرة أنّ الجاحظ هو واضع اللّبنات الأولى للبلاغة العربيّة، ولهو مؤسّسها الأوّل، وما ذلك إلاّ لجهوده الموفورة بسبيل تأسيس البلاغة العربيّة مذ وقت مبكّر، إذْ مثّل كتابه "البيان والتّبيين" باكورة هذه الجهود الجليلة، وهذا ما صرّح به شوقي ضيف مُسترسِلاً في حديثه عن مسألة نشأة البلاغة العربيّة، وقد جعل الجاحظ من أبرز معالم مرحلة النّشأة، وقد توقّف عنده طويلاً، مُصرّحاً بذلك في قوله: "ولعلّنا لا نغلو إذا قلنا بعد ذلك كلّه بأنّ الجاحظ يعدّ -غير منازع- مؤسِّس البلاغة العربيّة، فقد أفرَد لها لأوّل مرّة كتابه «البيان والتّبيين» ونثر فيه كثيراً من ملاحظاته وملاحظات معاصريه"[7]، ولعلّ ما أكسب هذه الشّخصيّة الأدبيّة الفذّة مكانة سامقة في تاريخ البلاغة، واستئثارها بنصيبٍ وافرٍ من دراسات الباحثين في جلّ موضوعات البلاغة والنّقد العربيين، ليس إلاّ لفيضِ عطاء صاحبها المعرفيّ في عوالمهما الرّحبة، وغوصه العميق في موالجهما الشّتى، وكذا لمدى انفتاحها الفسيح على كثيرٍ من العلوم المعرفيّة، وهو ما انعكست ظلاله جليًّا في مدى سعة تبحّره في كثيرٍ من العلوم المعرفيّة.

وبهذا تبقى أبرز المعالم التي انمازت بها مرحلة نشأة البلاغة العربيّة هي ومثلما أجمع عليه كثير من النّقاد وحتّى البحّاثة العرب على أنّ بوادئ سفور البلاغة العربيّة إنّما ترجع أساسا إلى تلك الملاحِظ البيانيّة التي كانت تداولتها الألسن النّبيهة بالأبعاد الجماليّة التّأثيريّة للّغة العربيّة، إلى أنْ بدأت هذه الملاحِظ تنمو تدريجيّا على ألسُن عدد من نحارير وجهابذة اللّغة الذين جعلوا منها لبّ دراساتهم البلاغيّة للكلام العربيّ المبين، وكان على رأس هؤلاء الثلّة من أفذاذ البلاغيين العرَب؛ الجاحظ وما قدّمه من معارف جمّة وغزيرة باتت تلخّصها اليوم جملة تآليفه البلاغيّة التي ما فتأت تستأثر بنصيبٍ وافرٍ من الدّراسة من لدُن دارسيّ تاريخ البلاغة منذ العصر الجاهليّ إلى يومنا هذا.

فضل النّحويين العرب القدامى في تطوّر البلاغة العربيّة:

وحريّ بنا قبل الشّروع في الحديث عن مرحلة ازدهار البلاغة عند العرب أن نبيّن فترات انتقال البلاغة العربيّة البلاغة انطلاقا من بدايات ظهورها حتّى عصر نموّها تدريجيّا، ومعلوم أنّ البلاغة العربيّة إنّما كانت مجرّد ملاحظ بيانيّة، وهي بدورها كانت إيماءة جليّة لبروز علم جماليّ فنيّ تتذوّقه الألسُن العربيّة الذوّاقة للّغة، والعقول النّبيهة بمكامن جمالها وفنّيتها، إذ تلت مرحلة النّشأة مباشرة مرحلة النّمو والتطوّر، حيث ازدهرت الدّراسات البلاغيّة بعد هذه المرحلة وعرفت نقلة بارزة في تطوّرها ووصولها لمرحلة النّضج والاكتمال، فظهر في هذه المرحلة الانتقاليّة البارزة للبلاغة العربيّة عدد كبير من أفذاذ الدّرس البلاغيّ العربيّ الذين جعلوا جلّ جهودهم مُنصبّة إزّاء قراءة ما جيء في القرآن الكريم واستجلاءً ما يحمله هذا الخطاب الرّبانيّ من إعجاز بلاغيّ مُبهِر، فكان على رأس أولئك الثلّة من النّقاد والبلاغيين العرَب الإمام النّحويّ والبلاغيّ عبد القاهر الجرجاني (471هـ) والذي اشتُهِر بنظريّته البلاغيّة النّحويّة الشّهيرة؛ "نظريّة النّظم"، وهي النّظريّة النّحويّة البلاغيّة التي ما فتأت تجمع بين علمين متكاملين في الدّرس الأدبيّ، وهما: علم المعاني وعلم النّحو، "حيث امتُزج في هذه النّظريّة النّحويّة البلاغيّة علمين أساسين في الرّكح الأدبيّ العربيّ علم المعاني وعلم النّحو"[8]، بل ومن النّقاد من يسمّيها "نحو المعاني"[9]، لاتصال النّظريّة بعلمين يشتركان فيها سويّا فجعلا في بوتقة واحدة تعنى بإبراز الجانب الصّحيح الجماليّ للكلام.

ويرى كثيرٌ من النّقاد العرَب بأنّ مصطلح (النّظم) لم يكن وليد تفكير بلاغيّ أو نحويّ جرجانيّ محضّ، وإنّما كان "مصطلح النّظم متداولاً في ثنايا كتب النّحاة الذين سبقوا عصر عبد القاهر الجرجاني بعهود سالفة"[10]، إذْ تداولته ألسُن النّحاة -وعلى رأسهم سيبويه (180هـ)- وهو الذي كان له جهد موفور في نشأة البلاغة وإن كانت في عصرها في بوادئ سفورها وأوائل ظهورها، حيث كان للنّحاة دوراً بارزاً في خدمة البلاغة العربيّة وتطوّرها، ولعلّ أبرز قضيّة تبرز مدى توالج الدّرسين -الدّرس البلاغيّ والنّحويّ- بعضهما ببعض خدمة للّغة العربيّة وعلى سلامتها؛ قضيّة النّظم، حيث ظهر مصطلح النّظم منذ وقت مبكّر في كتب النّحويين العرَب القدامى قبل أنْ يغتدي من أهمّ النّظريّات البلاغيّة النّحويّة التي نهض عليها الدّرس الأدبيّ العربيّ، حيث سبق سيبويه، الجرجاني، في الإشارة على مصطلح النّظم بقرونٍ سابقةٍ، إذْ كان صاحب "الكِتاب" هو زارع بذرة هذه النّظريّة ليُتمّ عبد القاهر ما تبقى من عمل سابقه وأستاذه سيبويه، وهذا رأي مشروع.

ولعلّه يبقى الرّأي المُجمَع على صحته بين كثير من نقادنا اليوم إزّاء مسألة سبق سيبويه في إفتاق نظريّة النّظم قبل إمام البلاغيين عبد القاهر الجرجانيّ قولهم بأنّه "إذا كان عبد القاهر هو الذي يُنسَب إليه ابتكار نظريّة النّظم، لأنّه بسّطها وفصّلها وطبّقها على أبواب جمّة من البلاغة فإنّ سيبويه هو الذي أمسك المصباح بكلتا يديه، وأنار الطّريق أمام عبد القاهر، وهداه إلى الغاية المنشودة، أو بعبارة أخرى إذا كان النظم قد أصبح يد عبد القاهر بمثابة شجرة عظيمة، شاهقة، متعددة الأغصان، مُثقلة بالثّمار. فإنّ سيبويه هو الذي ألقى البذرة قبل أن تبرز الشّجرة أمام العيون بمئات السّنين"[11]، وهذا ما يجلّي الدّور الكبير للنّحاة في نشأة علم البلاغة، ويبقى من أبرز من أسهموا وبشكل كبير في هذه النّشأة عبد القاهر الجرجاني وأستاذه

سيبويه، وما لهما من فضل بارز في الحفاظ على نصاعة اللّغة العربيّة وذلك من خلال إبرازهما لدقّة تراكيبها، ورونق نظمها، وسحر أساليبها، وهو ما نجده مبثوثا في تضاعيف مؤلّفاتهم البلاغيّة النّحويّة على السّواء.

ولقد أشار جلّ النّقاد العرب للمكانة السّامقة التي يتبوّؤها عبد القاهر الجرجاني في الدّرس البلاغيّ العربيّ، حيث "استطاع أنْ يضع نظريتيّ علميّ المعاني والبيان وضعاً دقيقاً، أمّا النّظريّة الأولى فخصّ بعرضها وتفصيلها كتابه «دلائل الإعجاز» وأمّا النّظريّة الثّانيّة فخصّ بها وبمباحثها كتابه «أسرار البلاغة»"[12]، ولعلّ المتفحّص لما قدّمه عبد القاهر في كتابيه "الدّلائل" و"الأسرار" يدرِك -لا محالة- بأنّ عبد القاهر "أوّل واضع لعلم البلاغة العربيّة، وشارح لمسائلها، ومبتكر لمسائلها"[13]، حيث أنّه وضع بين يدي الباحث في الدّرس البلاغيّ العربيّ كتابا جمّ الفضائل، فسيح النّظر، دقيق التبصّر بإعجاز النّظم القرآنيّ الكريم؛ مؤلّف "دلائل الإعجاز"، فذكر فيه عديد القضايا المتعلّقة بإبهار نظم القرآن الكريم للعرَب، وكان من جملة الموضوعات التي تطرّق إليها عبد القاهر في كتابه هذا، مسألة اللّفظ والمعنى، وقضيّة التّقديم والتّأخير، كما أنّه قدّم فصلا للاستعارة والمجاز، وفصلا في النّظم، وربط كلّ هذه الفصول بما ورد من إعجاز ربانيّ في القرآن الكريم، وكما أنّه كان يربطه بما عُرِف من أشعار بليغة للعرَب الأوائل من باب التّمثيل والاستئناس ممّا ورد في منظوم كلام العرَب، وبهذا عدّ مؤلّف "دلائل الإعجاز" من أمّات الكتب البلاغيّة لما فيه من محدّدات أساسيّة لكلّ غائص في بحر البلاغة العربيّة الرحب العميق، فيستخلص منه مكتنزات معرفيّة جمّة، فمثّل هذا المؤلّف مرحلة انتقاليّة بارزة من تاريخ البلاغة العربيّة على اختلاف عصورها.

السّكاكي وبدايات نضوب البلاغة العربيّة:

شَهِد القرن السّادس الهجري تحوّلا جذريّا في تاريخ البلاغة إذْ غدَت فيه الدّراسات البلاغيّة مجرّد قواعد جافّة مضبوطة بأُطر ومعالم مقنّنة، وذلك لاتصالها بعلوم الفلسفة والمنطق، وانسلاخها من أثواب الجماليّة والإبداعيّة، ومروق البلاغة العربيّة من أحياز التّلذذيّة التّذوقيّة إلى أبحر التّقعيد والتّقنين، حيث اتّجه أفذاذ الدّرس البلاغيّ في هذه الحقبة من الزّمن بالبلاغة العربيّة من بعدها الفنّيّ الجماليّ الإبداعيّ إلى حيّز التّقعيد والتّقنين، وهو العصر الذي صار معهودا على ألسن النّقاد العرب المحدَثين بعصر نضوب البلاغة العربيّة وانسدادها، حيث نأت البلاغة العربيّة في هذا العصر عن أبعادها الإبداعيّة الفنّيّة الجماليّة والتي هي بالكوْد أصل أساسها وعماد قيامها، ويبقى من أبرز البلاغيين الذين ذاع صيتهم في هذه المرحلة البلاغيّ السّكاكي (626هـ)، وذلك من خلال كتابه الذي أثار سجالا علميّا واسعا بين النّقاد والدّارسين، إلاّ أنّ ما يتفق عليه جلّ النّقاد، وإلى حدّ واسع، أسبقيّة السّكاكي في تقنين البلاغة العربيّة وجعلها جملة قواعد مضبوطة جافّة، وبأنّه أوّل من قسّم البلاغة إلى ثلاثة علوم، ولعلّنا نجد أبرز رأي أشار إلى هذا الطّرح ما ذكره أحمد مطلوب وكامل حسن البصير في قولهما بأنّ "السّكاكي وضع للبلاغة قواعدها المنطقيّة، وقسّمها إلى المعاني والبيان وألحق بهما المحسّنات، ووضع لكلّ علم تعريفا جامعا مانعا، وجدّد مباحثه وفنونه في قوالب جامدة"[14].

بيْد أنّ كتاب "المفتاح" لم يكن منْحصرا على علم البلاغة فقط، وإنّما خصّص له صاحبه أبوابا أخراة تتكامل وباب البلاغة، على غرار علم التّصريف، والذي تطرّق فيه السّكاكي إلى علم الاشتقاق بأنواعه؛ الاشتقاق الأكبر والكبير والصّغير، وكما أورد أيضاً في كتابه هذا علم النّحو بمباحثه الشّتى، وأتبعهما بدراسة لعلوم البلاغة، وهو ما ألفينا السّكاكي به مصرّحا في قوله: "وقد ضمنت كتابي هذا من أنواع الأدب، دون نوع اللّغة، ما رأيته لا بدّ منه، وهي عدّة أنواع متآخذة، فأودعته علم الصّرف بتمامه، وأنّه لا يتم إلاّ بعلم الاشتقاق المتنوّع إلى أنواعه الثّلاثة، وقد كلفت عنها القناع. وأوردت علم النّحو بتمامه وتمامه، بعلمي المعاني والبيان. ولقد قضيت بتوفيق الله منهما الوطر"[15]، ولعلّ هذا التّلاقح العلميّ ما بين العلوم الأدبيّة الثّلاثة هو ما جعل من البلاغة في كتاب "المفتاح" تكون أميل إلى التّعقيد والتّقنين، وتنأى عن دراستها الجماليّة المحضة للكلام العربي، ليصير علم البلاغة بعد ذلك علما جافّا، وتصبح البلاغة مجرّد شروح على الكتب البلاغيّة السّابقة، وبالأخصّ أمّات الكتب منها. فتغتدي من خلال هذه الشّروحات مجرّد قواعد تعليميّة ميسرة لفهمها من لدن البلاغيين الذين نهجوا طريقة السّكاكي بعده في التّأليف البلاغيّ، وبهذا يجمع جلّ النّقاد العرَب والباحثين في الدّرس البلاغيّ بأنّ القرن السّادس الهجريّ إنّما كان انطلاقة أولى لانكماش البلاغة العربيّة، ووصولها إلى حدّ الانسداد والجمود.

وهكذا، نجد أنّ البلاغة في مراحل ظهورها بشكلّ تامّ إنّما مرّت بمراحل مختلفة، لتنطلق من مرحلة النّشأة والتي أرجعها جلّ النّقاد إلى العصر الجاهليّ، أين كانت البلاغة مجرّد ملاحظات بيانية تتداولها الألسن النّبيهة باللّسان العربيّ البليغ، ونمت البلاغة وتطوّرت مع انتشار عصر التّدوين والتّأليف، ووُجِد عدد من البلاغيين العرَب الأوائل ممّن ندبوا أنفسهم بسبيل فهم القرآن الكريم وإعجازه البلاغيّ المُبهِر، فألّفوا ما ألّفوه من تآليف بلاغيّة باتت اليوم من أمّات الكتب التي ليس يمكِن لدارس البلاغة أنْ يغفل عنها أو أنْ يتغافل عمّا ورد فيها من مُكتنزات معرفيّة جمّة، ولم تلبث أنْ صارت البلاغة مع انطلاقة القرن السّادس الهجريّ مجرّد قواعد تعليميّة مُبسّطة لفهم الدّرس البلاغيّ، وذلك بمروق البلاغة العربيّة من ثوبها الجماليّ واتصالها بالمنطق والفلسفة، فانتشرت الشّروحات البلاغيّة عند كثير من البلاغيين المتأخرين، وهو الشّأن الذي جعل من البلاغة تصل حدّ الانكماش والانسْداد، ولتبقى على هذا الشّأو إلى عصرنا هذا.

وإذا مضينا نفْلي ما ورد في تضاعيف مُصنّفات نقّادنا العرب اليوم، ما ألفينا منهم إلاّ عدداً ضئيلاً ممّن وقفوا وقفة نقديّة تمحيصيّة تُكاشِف أبرز القضايا التي تميّزت بها كلّ فترة من مراحل تطوّر البلاغة العربيّة المختلفة، وما ألفينا أكثرهم إلاّ مُعاوداً لما ورد من آراء في تضاعيف كتب سابقيه من النّقاد الذي تطرّقوا لمسألة التّأريخ للبلاغة العربيّة بمراحلها الأربعة؛ مرحلة السّفور، والنّمو، ومرحلة النّضج، وأخيراً مرحلة الانسداد والجمود، ولقد تميّزت كلّ مرحلة من هذه المراحل المذكورة سلفاً، ببروز عددٍ من أفذاذ الدّرس البلاغيّ العربيّ، وكان ببروز هذه الثّلّة من الأفذاذ أيضاً بانَت جملة من المصنّفات النّقديّة البلاغيّة التي ما فتأت أنْ صارت من أمّات الكتب في الدّرسين النّقديّ والبلاغيّ العربيين، وهذا على غرار ما كتبه الجاحظ من مؤلّفات نقديّة بلاغيّة اغتدت اليوم من الكتب الرّكيزة، والواجب الغوص فيها من لدُن كلّ

دارسٍ للدّرس البلاغيّ العربيّ، ومن ذلك كتاب "البيان والتّبيين" وكتاب "الحيوان"، وكتاب "البُخلاء"، وكذا مجموعة من رسائل أدبيّة ودينيّة، ومنها "رسالة الجدّ والهزل"، و"رسالة التّربيع والتّدوير" وغيرها من الرّسائل الأدبيّة النّفيسة الأخراة التي لا تقلّ نفاسة عن تلكم التي ذكرناه على سبيل المثال لا الحصر.

فلسفة الجاحظ البلاغيّة المبكّرة في عمليّة الإرسال والتّلقّي:

بواكير قضيّة الإرسال والتّلقّي في تفكير الجاحظ البلاغيّ:

لقد انشغلنا فيما سَبق بالوقوف على المراحل الانتقاليّة للبلاغة العربيّة بمراحلها الأربعة المختلفة والتي ما فتئت تتمفصَل إلى مرحلة السّفور، والنّمو، والتطوّر، والنّضوب والجمود، وكان لكلّ مرحلة من هذه المراحل السّالف الإشارة إليها معالماً بارزة تنماز بها دونما سواها من المراحل الأخراة، ولعلّ من أبرز النُّقط المعرفيّة التي أسلفنا الإشارة إليها، وهي بالكوْد نقطة محوريّة تمثّلت أساساً في أسبقيّة زعيم البيان العربيّ الجاحظ (255ه) إلى التطرّق لعديد المسائل والقضايا الرّكيزة المتعلّقة بالنّقد والبلاغة العربيين، وفضله الكبير في إرْساء أرضيّة متينة للدّرسين معاً، وتبقى من أبرز القضايا الأدبيّة التي كان الجاحظ فيها من الرّواد الذين أفتقوا بذرتها، وأشعلوا فتيلها منذ وقتٍ مُبكّر جدّا؛ قضيّة الإرسال والتّلقي في الدّرسين النّقديّ والبلاغيّ على السّواء.

إنّ ممّا لا مراء فيه ألبتّة بين النّقاد والباحثين على اختلاف أجناسهم وتنائيّ أمصارهم إجماعهم التّام على أنّ مسألة التّواصل إنّما هي حدث مهمّ قام عليه مدار البحث في كلّ الآداب منذ عهودٍ بعيدةٍ، ولا يمكننا الحديث فيها -نظريّة التّواصل- بزيّها الحديث دونما المعاج في تقليب صفحات جذورها الممتدّة إلى الثّقافة الإغريقيّة اليونانيّة وصولاً إلى موروثنا الأدبيّ العربيّ بثوبيه القديم والحديث. إذْ أنّه لمخطِئٌ مَن مِن الدارسين يعتقد أنّ الدّرس اللّسانيّ الحديث كان سبّاقاً في التّطرّق إلى مسألة العمليّة التواصليّة ووظائفها المتّصلة بها، ونعني بها أساساً عمليّة الإرسال والتّلقي في صورتها الأوليّة، حيث إنّه لمن باب الوجوب -بقدر ما- أنْ يؤوب الباحثون في خضمّ بحثهم في مسألة التّواصل ووظائفها إلى استقراء مكامن هذه المسألة الجوهريّة في الدّرسين النّقديّ واللّسانيّ ويجلّوا كلّ ما هو مبثوث في تضاعيف تآليف نقّادنا العرب الأوائل مذ عهود سالفة، إذ أنّ للكثير من النّقاد العرَب القدماء فضل السّبق في إبراز جلّ المسائل المتعلّقة بعمليّة التّبالغ بمصطلحها القديم أو نظريّة التّواصُل بمعناها الحديث عند اللّسانياتيين المُحدَثين.

أولى أفذاذ النّقد والبلاغة في تراثنا عناية قصوى في معاينة قضيّة الإرسال والتّلقي منذ وقت مُبكّرٍ جدًّا من تاريخ الدّرسين البلاغيّ والنّقديّ العربيين، وما ذلك إلاّ للأهميّة البالغة لهذه القضيّة المحوريّة والمتّصلة أساساً بغاية التّبالغ بين المتواصلين، حيث أقرّ كثير من النّقاد المحدَثين بأنّ "الجاحظ هو أوّل من طرق حدود هذه القضيّة في النّقد العربيّ القديم بوصفها توجيهاً عامًّا للانتباه إلى محور القارئ"[(16)]، ولا غرو، إذن، في أنْ تستأثر هذه القضيّة بنصيبٍ وافرٍ في تفكير هذه الشّخصيّة البلاغيّة الفذّة، وقد أشار الجاحظ في غير موضع في جلّ تآليفه البلاغيّة إلى أضلع العمليّة التّراسليّة، والتي ما فتئت تتمفصُل إلى أركان متمثّلة أساساً في المُبلِغ والمُبلَغ له وأداة التّبليغ، أو كما وردت في كتاب "البيان والتّبيين" بالعمليّة الإفهاميّة، والتي

حدّدها بناءً على أسسها الضّابطة لتحقيقها؛ المُفهِم لك والمُتفهِم عنك والرّابط بينهما أداة الإفهام أيّ اللّغة (لفظيّة كانت أم إيحائيّة).

برز بين تضاعيف التّآليف النّقديّة العربيّة على كثرتها مسلّمة بِتنا لا نلفي فيها بين النّقاد أنفسهم أيّ اختلاف أو تباين، إذ أنّه "من الحقائق المستقرّة أنّ في الدّراسات الأدبيّة الأديب ابن بيئته، يتأثّر بها ويؤثّر فيها، فالبيئة هي مسرح الأديب الذي يستقى منه آيات فنّه، لا كما هي عليه في الواقع بل كما رآها بوجدانه وفكره وعايشها وتفاعل معها، وعبّر عنها بصدق في ثوب موشى بالألفاظ والتّراكيب والصّور المتآلفة المتناسقة المعبّرة المؤثّرة في النّفوس، مظهرا معاني جديدة في أشياء يراها كلّ النّاس"[17]، فارسترفادنا لهذا القول ليس إلاّ بياناً توضيحيّا بأنّ كلّ أديب ليس يُخرِج أدبه إلاّ من مخاض البيئة التي يترعرع فيها، فتباين، ههُنا، أدب الأدباء بناءً على اختلاف الأُطر الجغرافيّة التي تنبثق منها كتاباتهم الأدبيّة على اختلافها، فالأديب الذي عاش في عصر الشّعر، غير الأديب الذي عاش في عصر الخطاب، فإنّ اختلاف التلذّذ والإمتاع والتّأثير والإقناع، إلاّ أنّ لكلّ منهما غاية التّوصيل ومنتهى الإفهام، سواءً أكان شعرا أم نثرا (الخطابة).

ولعلّ المتطلّع لما كتبه الجاحظ في كتاب "البيان والتّبيين" عن العمليّة الإفهاميّة يلفِه مجليّا أهمّ أضلع العمليّة التّواصلية الإفهاميّة، والتي يقوم بها أساسا فعل التّخاطب، ومشيراً إلى ذلك في قوله: "لأنّ مدار الأمر على البيان والتبيّن، وعلى الإفهام والتّفهُم، وكلّما كان اللّسان أبْين أحْمد كما أنّه كلّما كان القلب أشدّ استبانة كان أحْمد. والمُفهِم لك والمُتفهّم لك شريكان في الفضل، إلاّ أنّ المُفهِم أفضل من المُتفهِم وكذلك المُعلِّم والمُتعلِّم"[18]، فكان هذا التّقديم الجاحظيّ لأسس العمليّة الإبلاغيّة بمثابة باكورة المقولات النّقديّة التي نوّهت إلى ركائز العمليّة التّواصليّة، إلاّ أنّ الجاحظ في قوله، ههُنا، قد جعل للمُبلِغ (المرسِل) (Déstinateur) الأثر البارز في إنجاح العمليّة الإفهاميّة، وهذا لا يعني أنّه قد أهمل ما للمُبلَغ له (المرسَل إليه) (Déstinataire) من مزيّة تامّة في إتمام التّواصل بين طرفيّ التّخاطب، وهو ما أشار إليه قائلا: "والمُفهِم لك والمُتفهِم عنك شريكان في الفضل"[19]، فبتوالُج أطراف التّبالغ معاً تتمّ عمليّة الإفهام بالشّكل الصّحيح، وبغياب أحدٍ هذه الأضْلُع الثّلاثة المكوّنة للعمليّة التّواصليّة إنّما هو إذْعان بانعدام التّواصل، وهذا رأيٌ صائب إلى حدٍّ بعيدٍ.

عناصر السّلسلة التّواصليّة بين غايتيّ الإفهام والتفهم:

أشار كثيرٌ من النّقاد الغرب المُحدثين وحتّى اللّسانياتيّين على السّواء إلى مدى العُلقة الوشيجة الرّابطة بين أطراف العمليّة التّواصليّة وبخاصّة المُرسِل والرّسالة (Message) والمُرسَل إليه ومدى إسهامهم البارز في تحقيق التّواصل، وضرورة توافرها معا قصد إنجاح العمليّة التّخاطبيّة الإفهاميّة على وجهها التّام الصّحيح، ومن ذلك ما بيّنه جان كوهن Jean Cohen في خطاطته الشّهيرة التي تكاد تتصاقب وما جاء به رومان جاكبسون Roman Jackbson في خطاطته التّوضيحيّة للعمليّة التّواصليّة اللّغويّة الكلاميّة ، وكانت الخطاطة كالتّالي[20]:

المرجع

الباث.....القـ.....الرّسالة.....ناة.....المتلقّي

السّنن

وما تكاد هذه الأطراف التّواصليّة المضطلع عليه أيّ تواصل لغويّ/ كلاميّ إلاّ مبيّنة أو بالأحرى مؤديّة لوظيفيّة أو غاية ما، فأمّا هي فكالتّالي:

المرجعيّة

الانفعاليّة.....الانتبـ.....الرّسالة.....اهيّة.....الإفهاميّة

الميتالغويّة

وقد بيّن النّقد الأدبيّ العربيّ الحديث/ المعاصر في ذات السّياق، وعلى رأس هؤلاء النّقاد واللّسانيّاتيين الذين أبانوا عن غوامض هذه المسألة فليا وتنقيبا، ومكاشفة وتوسيعا في النّظر؛ اللّسانيّاتيّ التّونسيّ عبد السلام المسدي، إذ بيّن في ذات السّياق، المشار إليه، قَبلا، بأنّه بغياب أحد أضلع المثلّث التّواصليّ ينعدم التّواصل، وما تحقّق الإفهام، ويبقى صاحب كتاب "الأسلوبيّة والأسلوب" من أبرز من نوّه إلى فكرة وجوب تكامل الأضلع التّخاطبيّة في عمليّة التّواصل وتناغمها، وذلك حين حديثه عن المُثلّث التّواصليّ وما له من أهميّة قصوى في نشوئيّة الخطاب من جهة وفهمه وتحقيق الإبلاغ من جهة أخراة، فيذكر قائلا: "ولا يذهبن بنا هذا المنهج إلى الغفلة عن التفاعل العضوي القائم في عملية الخطاب والذي به لا يكون مخاطِب بدون مخاطَب وخطاب، كما لا يكون مخاطَب ولا خطاب ما لم تكتمل أضلاع المثلّث"[(21)]، وهذا بيانٌ جليّ إزّاء فكرة وجوب اكتمال أضلُع التّواصل أو التّخاطب قصد تحقيق غاية الإفهام بين المتخاطِبين.

وفي ذات السّياق، ووِفق نظرة نقديّة حداثيّة حصيفة قدّم شكري مبخوت صورة بيّنة لطبيعة العلاقة الرّابطة ما بين أطراف السّلسلة الكلاميّة التواصليّة، وخاصّة توضيحه للعلاقة الواصلة بين القارِىء والنّص، ومعلومٌ لدينا أنّ هذا الأخير (النّص) إنّما هو منشوء بواسطة متكلّم ما، وهو ما يعني ضمنيّا توافر الأطراف الرّئيسيّة في عمليّة التّخاطب؛ المتكلّم، النّص، والقارىء، بدليل أنّه لا وجود للنّص من دون متكلّم، وهذا ما صرّح به في قوله: "يعسُر اعتبار العلاقة بين القارِئ والنّص في التّراث النّقديّ قائمةً على الصّدفة أو على هوى المبدِع وميله، وإنّما هي في الوجه العميق منها تعاقد بين الأطراف المضطلِعة بوظيفة التّخاطب الأدبيّ لا يخلو من نوايا مبيّنة"[(22)]، وهو نفس الشّأن الذي ألفينا الجاحظ مشيراً إليه، وبشكلٍ أبيْن حين تطرّقه لموضُوعة الإفهام والتّفهم، إذْ جعل المُفهِم والمُتفهِم مشتركان في الفضل والغاية نفسها وهي غاية التّفهم والتّواصل.

إنّ القارئ الحصيف حينما يقف أمام كتابات الجاحظ البلاغيّة وقفة مُتأنيّة فإنّه سيلحظ -لا مَحالة- عنايته البالغة بالعمليّة الإبلاغيّة أو الإفهاميّة المُفضية بحتميّة تامّة إلى التّواصل بين الأطراف المتواصِلة، ولا غرو في أنّ هذه العمليّة إنّما تضطلِع أساساً على مُرسِل ورسالة ومُرسَل إليه، وتبعا لهذا فإنّ الجاحظ يرى "أنّ دَور المتكلّم يتمثّل في التّعبير عن الحقائق والمعاني الخفيّة التي تمضي من القائِل الذي

يكشف القناع عن رسالته إلى السّامع الذي يتلقّى هذه المعاني بواسطة البيان الذي يفيد التّبليغ والتّوصيل"[23]، وهذا ما نستشفّه يقيناً في خضمّ حديثه عن البيان وأصنافه.

مزيّة السّياق في عمليّة التّواصل:

أطلنا الحديث عن جلّ العناصر التي تنبني عليها العمليّة التّواصليّة، وخصّصنا لها كيفما وردت في تفكير الجاحظ البلاغيّ، ودور كلّ عنصر منها في تحقيق غايته المحدّدة له في الكلام، فاهتمّ الجاحظ بالمتكلّم والمتلقّي والرّسالة كثيرا، بيْد أنّ هذا الحديث لا يقصَدُ به ألبتّة إهمال الجاحظ لباقي العناصر المهمّة في العمليّة التّبالغيّة على غرار المقام الكلاميّ، حيث أشار الجاحظ ومُذ وقتٍ مبكّرٍ جدّا من تاريخ الدّرس النّقديّ إلى ما بات يُصطلح عليه اليوم بالسّياق (Contexte) والتي تتمثّل وظيفته في الوظيفة المرجعيّة للنّص المرسَل (الرّسالة).

وإنّنا نلفي من النّقاد المتأخّرين من يُطلِق عليها مُسمّى الحال، أو كما يُصطَلح عليه حمادي صمود "بـ: "نظريّة المقامات" أو "المواضع"[24]، ومنهم من يُوسِمه بنظريّة المقاصد، وفئة أخراة تُطلِق عليه مصطلح "سياق الحال" وهو المرادف الذي جاء به تمام حسان، ومعرِباً عن ذلك بقوله:"أجدُ لفظ المقام أصبح ما أعير به عمّا أفهَمه من المصطلح الحديث سياق الحال Context of situation الذي يستعمله اللّسانيّون المُحدَثون"[25]، ونلفي من البلاغيين من يُطلِق عليه مُسمّى "مُقتضى الحال"، وهذا الأخير ليس يمثّل إلاّ توليفةً واحدةً تتمثّل بشكلٍ بارزٍ في "السّياق الخارجيّ+ المتلقّي+ الرّسالة"[26]، ويتجلّى مدلول لفظة السّياق عند الجاحظ وفي غير موضع واحد بما يُعرَف بمُراعاة أقدار السّامعين، إذْ هي من أبرز الآليات التي تساهم في إنجاح عمليّة التّواصل، ولقد أشار إلى ذلك كثيرا، ومن ذلك ما ذكره في صحيفة بشر بن المعتمر المعتزلي (210هـ) التي ذكرها كاملة ومنها قوله في هذا السّياق: "إمّا عند الخاصّة إنْ كنت للخاصّة قصَدت، وأمّا عند العامّة إنْ كنت للعامّة أردت. والمعنى ليس يشرُف بأنْ يكون من معاني الخاصّة، وكذلك ليس يتّضع بأنْ يكون من معاني العامّة. وإنّما مدار الشّرف على الصّواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكلّ مقام من المقال"[27].

وإنّ استدلال الجاحظ بالصّحيفة البِشريّة في كتابه "البيان والتّبيين" إنّما هو استبانةٌ دقيقةٌ يُرى من ورائها إحصاءً واسعاً لعديد القضايا النّقديّة البارزة في عصره الأدبيّ، والتي ما فتأت اليوم تُعرَف بنظريّات نقديّة حديثة مِن جهة، ومنها ما غدت مِن أهمّ ما يضطلِع عليه أساس الأدب العربيّ بعلومه المختلفة مِن جهة أخرى، وإنْ كنّا أسلفنا الإشارة، قَبْلا، إلى أهمّ القضايا التي نبّه الجاحظ إليها في "البيان والتّبيين"، ومنها: "ضرورة مراعاة الجانب البسيكولوجيّ من قبل المتكلّم (كاتباً أو خطيباً أو شاعراً) قبل فعل الكتابة، وكذا إسهابه في الحديث عَن "مسألة وجوب تلاؤميّة اللّفظ والمعنى، وأيضا تبكيره في الحديث عَن إحدى أهم النّظريّات النّقديّة الحديثة ونعني بها؛ "قضيّة المقاصد أو المواضع أو ما تُعرَف حديثاً بنظريّة المقامات"، والمقام هو ما بات يُصطلَح عليه اليوم عند اللّغويّين بـ: "السّياق" وهو أصل إنشاء الكلام، ومدار الحديث به/

فيه، ولهذا أوْلى له كلّ البلاغيين العرب الأوائل منهم والمتأخّرين عناية بالغة بهذا العنصر التّواصليّ البالغ الأهميّة من بين اللّغويّة الكلاميّة التّواصليّة الأخرى.

في مصطلح السّياق Contexte:

ولعلّه من الأجْدر بنا قبل أنْ نعرّج على قضيّة السّياق أو المقام وما له من عُلقة وشيجة بقضيّة الإرسال والتّلقّي في تفكير الجاحظ البلاغيّ أنْ نَعرِف أوّلاً ما السّياق؟ وما وضعه في السّلسلة اللّغويّة التّواصليّة؟ ما شأنه؟ وما وظيفته؟ ومكانته في الأداء الوظيفيّ للكلام؟ حيث ورد المعنى الاصطلاحيّ لمفردة السّياق في تآليف نقادنا العرب والغرب المُحدثين على السّواء بشكلٍ واسعٍ جدًّا، ولعلّ هذا المصطلح إنّما هو وشيج الصّلة بعلم السّيمائيّة (La Sémantique) أكثر مِن أيّ مجال معرفيّ آخر على غرار علم البلاغة وعلم النّحو وغيرها من العلوم الأدبيّة الأخراة، ولعلّ من أبرز ما صادفناه من تعاريف دقيقةٍ وجيزة حول مُصطلح السّياق ما قدّمه تمام حسان أنْ السّياق إنّما هو "الوجه الذي تتمثّل فيه العلاقات والأحداث والظّروف الاجتماعيّة التي تسُود ساعة أداء المقال"[28]، وهذا ما يعني أنّ السّياق هو القالب الذي يساهم بشكلٍ أساسيٍّ في عمليّة التّبليغ بين المخاطِب والمخاطَب، وإنْ كان يرجع أساساً حين إرسال الرّسالة إلى المخاطِب أكثر منه من المخاطَب حين التّوصيل أو الإفهام، لأنّه كان من أبرز ما نادى به أفذاذ الدّرس البلاغيّ العربيّ وركّزوا عليه خصوصاً أنْ يراعي المتكلّم أحوال المتلقّي، وأنْ ينزل كلام المرسِل وفق مقام المرسَل إليه، والمقامات تختلف، فمنها الفرح، ومنها الغضب، ومنه المدح والذّم، ومنها الأمر ومنها النّهي، ... وتلكم مقامات مختلفة متباينة، ومن الحريّ بالمتكلّم أنْ يضع كلامه وفق السّياق الذي يستدعيه الكلام حين إبلاغه إلى متلقّيه، ولا يجوز أنْ يناقض الكلام السّياق الوارد فيه، لأنّ ذلك مدعاة لسوء الإفهام، وبيان لعدم التّواصل بين المتخاطِبين، ولهذا كان حرص البلاغيين شديداً بوجوب مراعاة الكلام لمقتضى الحال، وهو المقام، أو ما بات يصطلح عليه اليوم بالسّياق.

ولقد فَطن الجاحظ كغيره من النّقاد والبلاغيّين العرَب الذي جاؤُوا قبله أو من والاه عصراً إلى عنصر السّياق (Contexte) ونبّه إليه كثيراً في كتاباته البلاغيّة نظرا لما لهذا العنصُر الجوهريّ من أثر بارز في تحقيق التّفهّم، وكان من أكثر المواطن التي ألفينا الجاحظ فيها مشيرا للسّياق حين تطرّقه لكلّ ما هو متعلّق بتعاريف البلاغة من جهة، وكذا حين حديثه عن كيفيّة تحقيق الإقناع والتّأثير في المتلقّين، ولعلّ أجلّ موطن نلتمس فيه هذا الشأن ما ذكره في صحيفة بشر في قوله: "فكُن في ثلاث منازل، فإنّ أولى الثّلاث أنْ يكون لفظك رشيقاً عذباً، وفخماً سهلاً، ويكُون معناك ظاهراً مكشوفاً، وقريباً معروفاً، إمّا عند الخاصّة إنْ كنت للخاصّة قصدت، وإمّا عند العامّة إنْ كنت للعامّة أرَدت"[29]، فإنّما السّياق عند أبي عثمان الجاحظ هو صُلب عمليّة التّبليغ، وأساس نجاحها، فلا يُنزَلنّ باللّفظ إلاّ منزلة معناه المسكُوب له من حيث الشّكل والدّلالة وموضعه حين تجسيم الكلام المرسَل ككلّ، فكان من أكثر ما حرص عليه الجاحظ في جلّ كتاباته البلاغيّة وجوب مراعاة المتكلّم أقدار المستمعين فلا يكلّم العاميّ بكلام الخواص، ولا يخاطِب الملوك بكلام

السّوقة، إذْ ذاك من معيقات التّواصل ومن عقبات إنجاح التّوصيل والإفهام، ما لذلك مِن الأثر البالغ في إتمام العمليّة التّبالغيّة، وعلى أتمّ وجهٍ مُمكن لها ما بين مُبلِغ ومُبلَغ له وما بينها واسطة التّبليغ.

وممّا بات معهوداً بين أوساط الباحثين في الدّرسين النّقديّ والبلاغيّ العربيين ما للصّحيفة البشريّة من مكانةٍ بالغةٍ، بل وإنّنا لنجد لها بالغ العناية حتّى عند أفذاذ نقّادنا القدامى أنفسهم، إذْ غدت متداولةً عندهم في كلّ موقفٍ، وما ذلك إلاّ لإحاطتها الشّاملة بأركان العمليّة التّواصليّة، والمتمثّلة أساساً في عمليّة الإرسال والتّلقّي، وربّما قد يكون القول الذي جئنا به، هٰهُنا، استدلالاً على أهميّة السّياق في إنجاح العمليّة التّواصليّة إنّما هو من أبرز ما وردنا من نصوص نقديّة قديمة، حيث أنّ بشر بن المعتمر من خلال صحيفته التي تناقلتها جلّ أمّات التّآليف النّقديّة كان سبّاقا للتّطرّق لقضيّة المقامات، أو الأحوال ودورها الكبير في المساهمة في تحقيق الإفهام بين المتخاطِبين.

صحيفة بِشر بن المعتمر والعمليّة التّواصليّة:

لعلّ المتطلّع لما ذكره الجاحظ في مؤلّفه "البيان والتّبيين" بشكلٍ عامٍ، وفي الصّحيفة البِشريّة بخاصّة يلحظ انبناءها بشكلٍ ضَليعٍ على عناصر المقام أو القرينة، وهذه العناصر الثّلاث ما فتأت تحمل مُسمّى المثلّث التّواصليّ[30]؛ المُخاطِب، والمُخاطَب، والخطاب عند جلّ اللّسانيّاتيّين المُحدَثين، ولا جرم أنّه باختلال أحد أضلُع هذا الثّالوث التّواصليّ لا تتمّ عمليّة الإيصال أو التّواصل بين المتخاطِبين حُجّة أنّه "لا يكون مخاطِب بدون مخاطَب وخطاب، كما لا يكون مخاطَب ولا خطاب ما لم تكتمل أضْلاع المثّلث"[31]، وهو ما نجلّيه في الشّكل الآتي:

مرسِل + رسالة + مرسَل إليه (يوجد تواصل مع توفّر بعض الضّوابط الأخرى)

مرسِل + رسالة "فقط" (ينعدم التّواصل)

مرسِل + مرسَل إليه "فقط" (ينعدم التّواصل)

مرسَل إليه + رسالة "فقط" (ينعدم التّواصل)

ومن هنا كان لزوماً وجود الأضلاع الثّلاثة معا حتّى يتم التّواصل، ويحصل الإفهام، ويبقى عنصر السّياق منوطا وبصلة وشيجة بهذه الأركان التّواصليّة كلّها، فللمتكلّم سياق خاصّ به حين كتابته للنّص أو إلقائه، وللمتلقّي كذلك سياق خاصّ حين تلقّيه للنّص، وللنّص في حدّ ذاته مقام خاصّ به حين ميلاده ونشأته، وبهذا كان السّياق عنصرا جوهريّا في العمليّة التّواصليّة وعُني ببالغ الأهميّة في تفكير الجاحظ البلاغيّ.

وقد يلحظ القارئ المتبصّر في تضاعيف الصّحيفة البِشريّة النّقديّة البلاغيّة بأنّها منشطرة مجزّأة إلى ثلاثة جوانب ركيزة فيها جوانب تخصّ المتكلّم، وفيها ما يخصّ المتلقّي، وفيها كذلك ما يخصّ النّص دونهما، وهي ما تعرف بالحالات أو المواضع كما ترد عند جلّ النّقاد المحدَثين، بحيث "هناك أحوال يُنظر فيها إلى المتكلّم؛ أيّ أنّ المتكلّم يكيّف كلامه في بعض الأحيان استجابة لحالته هو التي يحسّ بها ... كما أنّ هناك أحوالا لا ترجع إلى المخاطِب بل إلى غيره، وبهذا يتّضح أنّ صاحب الحال قد يكون ذات المتكلّم، وقد يكون مخاطَبا وهو الغائب، وقد يكون غيرهما"[32]، وهذا ما نستشفّه في غير موضع من الصّحيفة من وصايا بشر بن

المعتمر للكتّاب أيّ المتكلّمين أو المنشئين للكلام بالحرص على مراعاة الجانب البسيكولوجيّ وقت الكتابة، ومن ذلك قوله: "خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إيّاك، فإنّ قليل تلك السّاعة أكرم جوهرا، وأشرف حسبا، وأحسن في الأسماع، وأحلى في الصّدور، وأسلم من فاحش الخطاء، وأجلب لكلّ عين وغرّة، من لفظ شريف ومعنى بديع. (...) وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه"[33]، فهذا موضع نراه أقرب للمتكلّم وأشدّ صلة به، فالاهتمام بالجانب النّفسيّ قبل فعل الكتابة إنّما هو شرط أساسيّ إنْ لم نقلْ هو الأساس في حدّ ذاته لميلاد النّص، لهذا كان من أكثر ما حرص عليه أفذاذ الدّرس النّقديّ العربيّ ومنذ وقتٍ مبكّر جدّا.

بيْد أنّنا قد نغالط المتلقين مغالطة عويصة إذا ما أقررنا بأنّ الجاحظ لم يُؤثِر المتلقّي بأهميّة بالغة في كتاباته النّقديّة البلاغيّة، كتلك العناية التي أولاها للمتكلّم، بل بالعكس من ذلك كلّه، حيث أنّ المتلقّي قد استأثر في تراثنا البلاغيّ والنّقديّ بمكانة سامقة، وحظي بعناية قصوى من لدن النّقاد والبلاغيين العرَب منذ وقت مبكّر جدّا، ولقد كان "حاضرا دائما في تشكيل بنية الأشكال البلاغيّة في معظم المباحث البلاغيّة في علوم المعاني، والبيان، والبديع، لجذب انتباهه، أو تأكيد المعنى في نفسه، أو إدهاشه، أو تشويقه، أو دعوته إلى إعمال فكره، وشحذ ذهنه، أو غير ذلك من الدّلالات الموجّهة إلى المتلقّي بصفة خاصّة؛ لإبراز دوره في تشكيل الخطاب الأدبيّ، وتأويله"[34]، وهو شأن نلتمسه جليّا في تآليف النّقاد والبلاغيين العرب القدامى بدءاً من بشر بن المعتمر وما قدّمه من عناية قصوى بالمتلقّي وصولا إلى باقي البلاغيين العرَب الذين لفّوا لفيفه، سوى أنّ الجاحظ كان يبدو جليّا اهتمامه الواسع بهذا العنصر الفعّال في العمليّة التّواصليّة، ففي غير موضع ألفيناه يحاول إبراز ما له من دور مهمّ في تحقيق الإفهام والتّفهّم، بل وقد جعله والمتكلّم سيّان في فضل إنجاح فعل التّواصل، ومن ذلك قوله: "والمفهِم لك والمتفهِّم عنك شريكان في الفضل"[35]، فهنا، تتّضح لنا بشكل أوضح مع الجاحظ مدى متانة العُلقة الواصلة بين المرسِل والمتلقّي، إذ أنّ لأوّلهما دور الإرسال والتّوصيل ولثانيهما مهمّة التّلقّي والاستقبال لما يتبادر من المرسِل من كلام، وفكّ شيفرات الكلام الموجّه إليه من لدن المرسِل، وبانصهارهما معاً يحدث التّأثير ويتحقّق التّواصل.

ويبقى في الأخير أن نقرّ بأنّه ما كانت سيرة الجاحظ لتستوقفنا هذا القَدر من المكاشفة حينا ومن الاستقراء حينا آخر، لولا أنّ هذه الشّخصيّة الأدبيّة السّامقة قد استوت على عرش البلاغة وعدل جلوسها وطال مكوث النّاهلين من منهلها الفيّاض علما والزّاخر أدبا، وهذا العقل النّقديّ الخِرّيت إنّما صنع في تاريخ الأدب العربيّ صنيع الغيث المهطُول على الأرض الظمأى نزل بكرم وجاد بلطف على كلّ باقر في علميّ البلاغة العربيّة أو النّقد الأدبي العربي، سيّان، أو حتّى أنّه قد وهب الباحث الأدبيّ العربيّ، بخاصّة، والذي هو على قدر من الدّراية بموالج الدّرسين (البلاغيّ والنّقديّ) وتشابك مسالكهما، وقد ذكرته الأقلام النّقديّة المبكّرة في تاريخ الأدب العربيّ وما بخلته ذكرا ولا إشارة لمدى فضل آثاره الأدبيّة الفذّة التي سرعان ما غدت من أمّات الكتب في تاريخ الأدب العربيّ، وإنْ كانت إشارات النّقاد لا تحصى عدداً، فإنّه كان للمستشرقين ذكر في مناقب الجاحظ وفضائله ومزيّته في تطوير الدّرس الأدبيّ العربيّ، والبلاغيّ النّقديّ منه بخاصّة، وكان من أكثرهم تنويها إلى هذا الأمر المستشرق الفرنسيّ Charles Pellat شارل بيلا، وصولا إلى نقّاد عصرنا اليوم.

وتبقى إسهامات الجاحظ في الدّرسين النّقديّ والبلاغيّ العربيين جمّة، ويكأن الدّراسين منذ ردح من الزّمن يسعون سعي الحثيث إلى الحوم حول فكر الجاحظ، وما هم فيه بغائصين، وإنْ غاص بعض من النّقاد في كوامن هذا العقل النّقديّ الخِرّيت فما هم بممسكين بالقضيّة التي تجد أبو عثمان الجاحظ مشيراً إليها وإنْ كانوا هم يمرقون من خلال قراءاتهم سطحيّة كانت أم مُتعمّق فيه، بشطحات نقديّة تكاد تُفهم في فهم عوام الباحثين في الدّرس النّقديّ العربيّ، وعلى كثرة تلكم التّخريجات النّقديّة الجمّة من لدن نقّادنا العرب المحدَثين للقضايا الفكريّة الأدبيّة المبثوثة في كتابات الجاحظ البلاغيّة تبقى إشاراتهم إلى مسائله البيانيّة إنّما ما هو طافٍ في كتابات الجاحظ البلاغيّة، بيد أنّ ما كان منها ماثلا للغموض والاستقراء المعمّق إنّما خصّ بها نبشا وقراءة أفذاذ الدّرس النّقديّ المعاصر، وما كان يتأتّاهم فَهم تلكم القضايا البلاغيّة البيانيّة لنصوص الجاحظ المخبوءة في أقصى تضاعيف كتاباته البلاغيّة إلاّ بعد طول الاستبانة والتّمحيص والفلي الدّقيق لتلكم الكتابات.

وستظلّ إشارات الجاحظ المبكّرة لعناصر العمليّة التّواصليّة من أبرز ما أُوثر على ألسُن النّقاد العرب القدامى، وإن كان فضل السّبق لأستاذه بِشر بن المعتمر المعتزليّ في صحيفته البلاغيّة الشّهيرة الفضل الكبير في تمتينه لأسس العمليّة التّبالغيّة وفق إطارها الواسع، وإنّنا ألفينا الجاحظ متأثّرا بما جيء في صحيفة بِشر وما حدّده في ثنايها من نواميس وسنن لا يكاد يتغافل عنها أيّ ناقد أو بلاغيّ كان، إذ هي بمثابة الفهرس لكلّ أديب (كاتبا كان أم شاعرا) أو خطيب مصقّع، حيث أنّ اتكاء الجاحظ على تلكم الصّحيفة وما ورد فيها من ضوابط مقنّنة للعمليّة التّواصليّة الجيّدة ما كان بشكل عفويّ ألبتّة، إنّما دقّة توصيف العمليّة التّواصليّة التّبالغيّة التّخاطبيّة كان أدقّ في جلّ مواضع الصّحيفة البِشريّة، ومن ذلك وجوب مراعاة وقت الكتابة لما في ذلك من الأثر البالغ في إحداث رجّة إفهاميّة للمستمعين من لدُن المرسِل أو المتكلّم، والحرص على استعمال ما كان مطبوعاً من الكلام والابتعاد عن كلّ ما كان متصنّعا فيه، وذلك لما للكلام المصنوع من ثقل في تحقيق التّواصل ما بين المرسِل والمرسَل إليه، وكذا الحرص على إلزاميّة المشاكلة ما بين اللّفظ ومعناه، وأيضا على المنشِيء مراعاة أقدار السّامعين، والأهمّ من كلّ هذا لابدّ من مراعاة مقام الحديث، إذْ أنّه ومثلما أشار بِشر في صحيفته البلاغيّة (لكلّ مقام مقال)، وهذا ما بات يصطلح عليه في الدّرس اللّغويّ الحديث بالسّياق. وبتوالي الأعصُر هيّأت لتلكم العناصر من مُفهِم ومُفهِم عنه وواسطة الإفهام والسّياق الكلاميّ نظريّة لغويّة اغتدت من أهمّ ما يضطلع عليه الدّرسين النّقديّ واللّسانيّ الحديث، وهي ما يصطلح عليها عند النّقاد واللّسانيّاتيين بنظريّة التّواصل الكلاميّ. ودوما يبقى فضل الإرهاص لعدد من نظريّات النّقد الأدبيّ الحديث لأفذاذ النّقد العربيّ، وذلك من خلال ما أُوثر عنهم من تآليف نقديّة هي أمّات الكتب في الدّرس النّقديّ الحديث.

مراجع البحث:

1/ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتّبيين، تحقيق عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، 1998.

2/ عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشّأن الأكبر، (د.ط)، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، (د.ت).

3/ جرجي زيدان، تاريخ آداب اللّغة العربيّة، ج2، مراجعة وتعليق شوقي ضيف، (د.ط)، دار الهلال، مصر، (د.ت).
4/ شوقي ضيف، البلاغة تطوّر وتاريخ، ط14، دار المعارف، القاهرة، 2013.
5/ محمد مندور، النّقد المنهجي عند العرب، (د.ط)، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ت).
6/ ابتسام الصفار وناصر حلاوي، محاضرات في تاريخ النّقد الأدبيّ عند العرب، (د.ط)، دار الحكمة، 1990.
7/ حاتم صالح الضامن، نظريّة النّظم تاريخ وتطوّر، (د.ط)، منشورات وزارة الثّقافة والإعلام، العراق، 1979.
8/ جمال إبراهيم قاسم، البلاغة الميسّرة، ط1، دار ابن الجوزي للنّشر والتّوزيع، القاهرة، 2012.
9/ محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف، البلاغة العربيّة بين التّقليد والتّجديد،
10/ أحمد مطلوب وكامل حسن البصير، البلاغة والتّطبيق، ط2، وزارة التّعليم العالي والبحث العلميّ، العراق، 1999.
11/ أبو يعقوب بن علي السّكاكي، مفتاح العلوم، ضبط وكتابة الهوامش وتعليق نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلميّة، بيروت،..
12/ لطفي فكري محمد الجودي، النّص الشّعريّ بوصفه أفقا تأويليّا قراءة في تجربة التّأويل الصّوفي عند محي الدّين بن عربي ديوان: "ترجمان الأشواق" نموذجا، ط1، مؤسسة المختار للنّشر والتّوزيع، القاهرة، 2011.
13/ عبد السّلام المسدي، الأسلوبيّة والأسلوب، ط2، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، 1982.
14/ شكري مبخوت، جماليّة الألفة (النّص ومتقبله في التّراث النّقديّ)، (د.ط)، المجمع التّونسيّ للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، تونس، 1993.
15/ كريمة أحسن شعبان، الإتصال الخطابيّ وفن الإقناع، ط1، دار أسامة للنّشر والتّوزيع، الأردن، 2015.
16/ حمادي صمود، التّفكير البلاغيّ عند العرب أسسه وتطوّره إلى القرن السّادس (مشروع قراءة)، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، ط2، 1994.
17/ تمام حسان، الأصول دراسة ابستمولوجيّة في الفكر اللّغويّ العربيّ، الهيئة المصريّة للكتاب، القاهرة، 1982.
18/ علي البدري، بحوث المطابقة لمقتضى الحال، ط2، المكتبة الحسينيّة، القاهرة، 1984.
19/ تمام حسان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، ط3، عالم الكتب، ، 1998.
20/ عبد الستار حسين زموط، من سمات التّركيب، ط1، مطبعة الحسين الإسلاميّة، القاهرة، 1992.
21/ أسامة محمد البحيري، تراثنا البلاغيّ والمناهج الحداثيّة دراسة مقارنة،
22/ جان كوهن، الكلام السّاميّ نظريّة في الشّعريّة، ترجمة وتقديم وتعليق محمد الولي، ط1، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، 2013.

---

(1)– ونذكر من أبرز المؤلّفات النّقديّة التي تطرّقت لموضوعات النّقد الأدبيّ العربيّ بشقيّه القديم والحديث، والتي ما فتئت إلاّ المعين الأوّل لكلّ دارس للنّقد الأدبيّ العربيّ، ومنها: "في النّقد الأدبيّ" لشوقي ضيف، و"النّقد الأدبيّ" لأحمد أمين، وكتاب "البلاغة تطوّر وتاريخ" لشوقي ضيف، وأيضا كتاب "البلاغة العربيّة أصولها وامتداداتها" لمحمد العمري، ومؤلّف "تاريخ البلاغة العربيّة" لعبد العزيز عتيق، ... وهلمّ جرّا على باقي الأسس المصنّفاتيّة النّقديّة الحديثة التي يراها الباحث الأدبيّ (النّاقد والبلاغيّ) ركيزة ضليعة في مسار بحثه عن جلّ القضايا والمسائل النّقديّة إمّا القديمة منها، أو الحديثة سيّان.

(2) – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتّبيين، تحقيق عبد السّلام هارون، ج1، ط7، مكتبة الخانجيّ للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، 1998، ص 77.

(3) – المصدر نفسه، ص 76.

(4) – سمير شريف استيتيّة، اللّسانيّات، المجال، والوظيفة، والمنهج، ط2، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2008، ص 675.

(5)- عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشّأن الأكبر، (د.ط)، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، (د.ت)، ص 573.

(6)- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللّغة العربيّة، ج2، مراجعة وتعليق شوقي ضيف، (د.ط)، دار الهلال، مصر، (د.ت)، ص 171.

(7)– شوقي ضيف، البلاغة تطوّر وتاريخ، ط14، دار المعارف، القاهرة، 2013، ص 58.

(8) – محمد مندور، النّقد المنهجيّ عند العرب، (د.ط)، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ت)، ص 336.

(9)- ابتسام الصفار وناصر حلاوي، محاضرات في تاريخ النّقد الأدبيّ عند العرب، (د.ط)، دار الحكمة، 1990، ص 292.

(10)- حاتم صالح الضامن، نظريّة النّظم تاريخ وتطوّر، (د.ط)، منشورات وزارة الثّقافة والإعلام، العراق، 1979، ص 5/ 24.

(11)- جمال إبراهيم قاسم، البلاغة الميسّرة، ط1، دار ابن الجوزي للنّشر والتّوزيع، القاهرة، 2012، ص 38.

(12)- شوقي ضيف، البلاغة تطوّر وتاريخ، ص 160.

(13)- محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف، البلاغة العربيّة بين التّقليد والتّجديد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992، ص 38.

(14)- أحمد مطلوب وكامل حسن البصير، البلاغة والتّطبيق، ط2، وزارة التّعليم العالي والبحث العلميّ، العراق، 1999، ص 255.

(15)- أبو يعقوب بن علي السّكاكي، مفتاح العلوم، ضبط وكتابة الهوامش وتعليق نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1987، ص 6.

(16)- لطفي فكري محمد الجودي، النّص الشّعريّ بوصفه أفقا تأويليّا قراءة في تجربة التّأويل الصّوفيّ عند محي الدّين بن عربي ديوان: "ترجمان الأشواق" نموذجا، ط1، مؤسسة المختار للنّشر والتّوزيع، القاهرة، 2011، ص 24.

(17) – ابن سناء الملك، فصوص الفصول وعقود العقول، تحقيق ودراسة محمد محمد عبد الجواد، ط1، مؤسّسة المختار للنّشر والتّوزيع، مصر، 2005، ص 307.

(18)- الجاحظ، البيان والتّبيين، ج1، ص 11/ 12.

(19)- المصدر نفسه، ص 11.

(20) – جان كوهن، الكلام السّاميّ نظريّة في الشّعريّة، ترجمة وتقديم وتعليق محمد الولي، ط1، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، 2013، ص 23.

(21) - عبد السلام المسدي، الأسلوبيّة والأسلوب، ط2، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، 1982، ص 79/ 80.

(22) - شكري مبخوت، جماليّة الألفة (النّص ومتقبله في التّراث النّقديّ)، (د.ط)، المجمع التّونسيّ للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، تونس، 1993، ص 13.

(23) - كريمة أحسن شعبان، الإتصال الخطابيّ وفن الإقناع، ط1، دار أسامة للنّشر والتّوزيع، الأردن، 2015، ص 68.

(24) - حمادي صمود، التّفكير البلاغيّ عند العرب أسسه وتطوّره إلى القرن السّادس (مشروع قراءة)، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، ط2، 1994، ص 208.

(25) - ينظر، تمام حسان، الأصول دراسة ابستمولوجيّة في الفكر اللّغويّ العربيّ، الهيئة المصريّة للكتاب، القاهرة، 1982، ص 338.

(26) - علي البدري، بحوث المطابقة لمقتضى الحال، ط2، المكتبة الحسينيّة، القاهرة، 1984، ص 87.

(27) - الجاحظ، البيان والتّبيين، ج1، ص 136.

(28) - تمام حسان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، ط3، عالم الكتب، 1998، ص 338.

(29) - الجاحظ، البيان والتّبيين، ج1، ص 136.

(30) - يرد هذا المصطلح وبشكلٍ واسعٍ عند اللّسانياتيّ العرَب المحدثين، ولعلّ أبرزهم شيخ اللّسانيّاتيّين العرب المحدَثين عبد السّلام المسدي، وهو الذي ذكره في جل تآليفه النّقديّة اللّسانيّة، وبخاصّة في مؤلّفيه "الأسلوبيّة والأسلوب" و"الأدب وخطاب النّقد".

(31) - عبد السّلام المسدي، الأسلوبيّة والأسلوب، ص 79/ 80.

(32) - عبد السّتار حسين زموط، من سمات التّركيب، ط1، مطبعة الحسين الإسلاميّة، القاهرة، 1992، ص 28.

(33) - الجاحظ، البيان والتّبيين، ج1، ص 135/ 136.

(34) – أسامة محمد البحيري، تراثنا البلاغيّ والمناهج الحداثيّة دراسة مقارنة، ص 91.

(35) - الجاحظ، البيان والتّبيين، ج1، ص 11.